الحركة العلمية في الجزائر المسلمة وأهميتها عبر القرون في بناء الحضارة وتقدّمها

أ.د الربيع ميمون

جامعة الجزائر

تلخيص المقال

وجدت اللغة العربية، في الجزائر، وهي تستقبلها مع دين الله، في القرن السابع للميلاد، أرضا خصبة سمحت لها بأن تنتشر فيها، وان تتمكن من قلوب أهلها وأرواحهم إلى درجة جعلوا منها لغتهم، وصاروا منها وصارت منهم.

ولقد كان منها أن صارت لغة علمائها حينما ظهروا بها، وبدأت حركتهم تنتظم فوق ربوعها وتنعش الأرواح والعقول.

وهي حركة أعطت ثمارها، وجعلت من بلادنا بلد علم وحضارة على مر القرون...

وبالفعل فعلماؤها، وهم من جهاتها كلها، وفي كل الاختصاصات

المعروفة في أزمتهم، وفي بلدان المسلمين كلها، لا يحصى عددهم، ولا نعرف عنهم إلا النزر اليسير.

ومن الممكن أن نعرف شيئا من أعمالهم الباهرة إذا أشرنا لبعض منهم ممن يمثلونهم أحسن تمثيل، ونستطيع أن نرى من خلالهم صورتهم بالحق. لأن بعضهم من بعض.

ويظهر لنا أن العلماء الذين سنشير إليهم من بينهم، وهم الإمام الداودي أول شارح لصحيح البخاري، وابن رشيق صاحب كتاب العمدة في البلاغة، والشيخ يوسف البسكري إمام القراءات، والإمام الورجلاني العالم الفيلسوف، والإمام ابن معطي صاحب أول ألفية في النحو، والإمام الآبلي عالم الدنيا، والإمام الشريف الحسني الشيخ الذي ملأ المغرب علما وتلاميذ، والإمام السنوسي عالم تلمسان وحكيمها وصالحها، والشيخ مصطفى الرماصي إمام الفقهاء في عصره، والشيخ عبد العزيز الثميني المتكلم الفيلسوف والفقيه الكبير، والشيخ ابن حمادوش العلم الموسوعي، والأمير عبد القادر فارس الإيمان، وأمير السيف والقلم، والمتصوف الذي انكشفت له أسرار الشرع والوجود، هم علماء يمكننا أن نعرف من خلال ما امتازوا به عن العلماء في أزمنتهم، أن الجزائر هي بلد علم، وسبق فيه إن في العلوم اللغوية أو الدينية أو الوضعية أو غيرها، وبلد سيكون له شأن وأي شأن بين بلدان المستقبل في بناء الحضارة فوق هذه الأرض. وهو ما نحاول أن نشير إليه وان نبيّنه في المقال التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

إن اللغة العربية التي أشرقت الجزيرة العربية بأنوارها في القرن السادس للميلاد والتي نزلت آي الذكر الحكيم بها، من بعد ذلك بقليل، على رسول الله ﷺ لتبليغها إلى البشرية جمعاء عبر الأمكنة والأزمنة إلى يوم الدين[1]، قد وجدت، في الجزائر، وهي تستقبلها مع دين اللّه في القرن السابع للميلاد، أرضا خصبة سمحت لها بأن تنتشر فيها، وأن تتمكن من أرواح أهلها،تمكنا جعلهم يعرضون عن لغتهم الأصلية من أجلها، ويتخذون منها لغة لهم لا يرضون بغيرها، ولا يحيدون عنها إلى أن صاروا منها وصارت منهم[2].

1 : الإسلام واللغة العربية في الجزائر

ويظهر لنا بما لا مجال للشك فيه بالنسبة إلينا أن أجدادنا الأمازيغ الأحرار لم يتمسكوا بالإسلام وبالعربية إلا لأنهم وجدوا فيهما ذلك الكمال الذي ما فتئوا يبحثون عنه ويطمحون إليه منذ العهود الأولى لتاريخهم العتيق.

لقد وجدوا فيهما ما لم يجدوه في المسيحية حينما صارت هذه ديانة للأمبراطورية الرومانية مستعمرتهم، ولا في لغة هذه الأمبراطورية. ولقد

تعلقوا بهما وتعاطفوا معهما وصاروا منهما، وإلى الأبد، بدون قيد ولا شـــرط.

وبالفعل فالاسلام لم يعرض عليهم من القيم إلا ما يزيدهم تعلقا به وتعاطفا معه وتخلقا بأخلاقه واستجابة لأوامره ونواهيه.

وأما اللغة العربية فإنها لم تأتهم إلا بما فيه تحرير لعقولهم وأداة تفتح أمامهم باب الكمال على مصراعيها.

ولذلك فإن الجهود التي بذلوها من أجل أن تصطبغ بها أرواحهم، ومن أجل انتشارها بينهم، ورسوخها فوق أراضيهم، وازدهارها وتقدمها ورقيـها على أيديهم، واختيارها للتعبير بها عن أمور العقل والروح، واعتمادها لنقل فتوحات حضارتهم، جهود لا يقوم بها إلا المؤمنون[3] بالمثل الإنسانية العليا.

2 : علماء الجزائر المسلمة

وبالفعل فتراث علماء الجزائر باللغة العربية في العلوم على اختلاف أنـواعـها مـنـذ إسـلامـها إلى اليوم عظيم وهو كمالها المقوم لوجودها ومفخرتها الدائمة إذ هو الذي منحها هويتها التي صارت لها على مر العصـور، حـتـى وإن كـنـا نـحـن الجزائريين لا نـتـبين ذلك اليـوم على حقيقته، لأن ظروف التاريخ حالت بيننا وبينه، وقضت عليه في ذاكرتنا فصرنا وكأننا بدون ذاكرة، وصرنا نرى في وجودنا ماهد جد بعيد عنه، ولا يمنحنا صورته الحقيقية.

إن الانحطاط الذي عرفه المسلمون لمدة قرون، وليالي الاستعمار الحالكة السوداء التي أرخت عليهم سدولها، وبعدهم عن الحياة التي هي الحياة الحق، وتخلفهم بالنسبة إلى أسلافهم وإلى أوروبا التي قامت نهضتها على فتوحات علمائهم، أمور عرفت الجزائر من ويلاتها ما لم تعرفه بلدان المسلمين الأخرى. ولهذا، فإنها كادت أن تفقد ذاكرتها، وأن تنسى ما كان منها للتقدم والحضارة. وصرنا نحن الجزائريون، ناسا يعيشون بين الناس، وكأن لا وجود لدينا لما يفخر به الناس، ويعتزون به، حين تجمعهم المجامع، من الآداب والعلوم والفنون والصناعات والدين والأخلاق، وغيرها.

لقد صرنا لا نعرف من تاريخنا سوى سلبياته إذ لم نستطع أن نهيمن على مجاريه وأن نوجهها بما يقدمنا ويرتقي بنا لأن مد الأحداث وجزرها، فيما بيننا ونحن من أرومة واحدة، وفيما بيننا وبين جيراننا وهم إخواننا وبنو جلدتنا، وفيما بيننا وبين بلدان البحر الأبيض المتوسط والعالم، لم تسمح لنا بذلك الاستقرار السياسي الذي يتيح للأمم أن تنتظم،وان تكون لها مؤسسات بالحق، تتيح لها أن تبلغ تلك الدرجة من الوعي الصادق الذي تقوم الحضارة بالحق عليه والذي يرعاها، ويغذيها فتغذيه، وينمو معها وتنمو معه.

لقد عرفت الجزائر قبل إسلامها علماء أجلة هم من أبنائها، وهم علماء ألفوا باللغة اللاتينية وبرزوا فيها وصاروا مصابيح يهتدي الناس بأنوارهم إلى اليوم في كل البلدان المتقدمة [4].

ولقد عرفت الجزائر من بعد إسلامها علماء آخرين كانوا فرسانا للعلم في أزمنتهم، ومن المتقدمين فيه وبه والناشرين له على مستوى بلدان المسلمين وغيرها، فرفعوا قدرها، وحصنوها من الزوال.

وعرفت في أيام الاحتلال الفرنسي السوداء ومن بعدها علماء ألفوا باللغة الفرنسية، وبرزوا فيها حتى على أهلها، وأبانوا للقاصي والداني مع من سبقهم من أسلافهم الذين كتبوا باللغة الفصحى وباللاتينية أن عبقرية الجزائر متفتحة إلى رياح الفكر اللوافح وقادرة على أن تعرب عما في نفسها بكل لغة، ولا سيما حينما تعلمت من الكتاب العزيز أن كل اللغات ما هي إلا آيات من آيات اللّه وأن التفتح عليها من الكمالات العالية. ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (سورة الروم، الآية 22).

هذا، وسنقتصر على التعريف ببعض من علمائها بعد إسلامها في هذا المقال لان حدوده لا تسمح لنا بتجاوزهم، ولأننا نعتقد أن الاهتمام بعلمائها كلهم عبر عصور تاريخها الطويل مشروع يجب القيام به في عمل شامل يعرض حركتها الثقافية كلها عرضا يجلو بداياتها وتياراتها، وممثليها وآثارهم، وامتداداتها، وتشابهها وتخالفها، وتقاطعها وتوازيها، وتأثيرها، وتأثر بعضها البعض، وامتيازاتها، وهو عمل، نحن نقوم به مع أعمالنا الأخرى في علوم الدين والفلسفة بالإمكانيات المحدودة التي توفرها الجامعة الجزائرية لأساتذتها. وإنا لنرجو أن يعيننا الله على إتمامه.

إن علماء الجزائر كثيرون، وهم من بناة الحضارة على الرغم مما كان

يصيب بلادهم، حينا بعد الآخر، من الاضطرابات الداخلية والخلافات السياسية القاتلة وحركات التاريخ الجهوي والعالمي الداهمة. وهم من أعلى المستويات في كل الاختصاصات العلمية المعروفة في أزمنتهم، وهم أيضا، من كل أنحاء البلاد، ومن كل الدول التي ظهرت فوق أراضيها، وحكمت أهلها.

فعلماء بني رستم، وبني زيري، وبني حماد، وبني زيان، والعلماء الذين عاشوا في عهد الأدارسة والأغالبة والعبيديين والموحدين وبني مرين والحفصيين، والأتراك والفرنسيين، وعلماء ما بعد الإستقلال إلى اليوم، كلهم علماء يثبتون، وبقوة، أن لا وجود لقرون مظلمة في الجزائر ولا في شمال إفريقيا إلا في عقول ناس أضلتهم العنصرية النكراء، والمطامع الخسيسة والوحشية العمياء، والغرور البليد [5].

3 : الجزائر لم تعرف قرونا مظلمة

إن الجزائر لم تعرف قرونا مظلمة في تاريخها، ولا سيما في تاريخها العلمي. فوعيها الراسخ بذاتها، ورفضها لكل من اعتدى عليها من عصر الإقليد ماسينيسا (238- 148 ق م) إلى عصر فارس الإيمان الأمير عبد القادر بن محي الدين(1808- 1883 م)، والمجاهدين من بعده، أبطال حرب التحرير الأسطوريين، أمر ثابت لا غبار عليه، إن في السراء وإن في الضراء.

ولا شك في ان العلماء الذين ندين لهم باستمرار وجودنا عبر القرون،

وعلى الرغم من العواطف الهوجاء التي عرفتها بلادنا، هم الذين منحونا هويتنا النهائية أو هويتنا الأبدية.

وهي هوية لا تقبل الاندماج في اية هوية أخرى لأن ثرواتها غير متناهية، وهوية لا يوجد لها مثيل لان مقوماتها وكمالاتها وحدة سامية وحضارية عالية. وهي مقومات وكمالات ينسجم بعضها مع بعض، ويمتزج به امتزاجا كاملا يجعل من أصلها الأمازيغي الذي لم تحد عنه، أصلا، يشرق ويهتدي بنور الإسلام وتعاليمه الكونية من جهة، وأصلا، يعرب عن وجوده وحضارته بلغة الضاد من جهة أخرى، فنحن لسنا عربا بالأصل لان أمازيغية أجدادنا تسكننا، ونحن لسنا أمازيغ مثل أجدادنا لأن الإسلام ولغته يميزان وجودنا بما لا بديل عنه. وهما بعدان لنا لا معنى لوجودنا بدونهما.

إن علماءنا الأعلام لم تكن تخفى عليهم هذه الحقائق. ولهذا فإنهم كانوا يعرفون من هم، ولم يكونوا يطرحون على نفوسهم المشاكل الزائفة التي نطرحها على أنفسنا، نحن اليوم، ولا نتوصل إلى حلها لكونها لا وجود لها، ولأن نفوسنا لا تطرحها علينا، ولكن غيرها.

إن علماءنا كانوا واقعيين. ولقد كانت أعمالهم العلمية في مختلف الفنون المعروفة في أزمنتهم لا تقل أهمية عما هو في بلدان غيرهم، وقد تكون في بعض الأحيان متفوقة عليه إن في بلاد المسلمين، وإن في أوروبا إلى بداية قرونها الحديثة في القرن السابع عشر للميلاد. وهي أعمال تشرف الجزائر والمسلمين، وتخدم الفكر الإنساني، وتثبت بما لا مجال

للشك فيه أن الجزائر ذات مكانة عالية في مجال العلوم، كما ثبت أن ما عرفته من التخلف الذي أصاب المسلمين كلهم، وما عرفته من ويلات الاستعمار الغاشم الذي كاد أن يقضي على كيانها، لم ينل من النواة الصلبة التي يقوم وجودها عليها لان ما حققه علماؤها لها لتستمر وتدوم غير قابل للهدم أو الكسر.

وهم كثيرون، ومن الواجب علينا في هذه المرحلة من تاريخنا أن نحييهم، وأن نعرف من هم، وكم هم، وأن نبحث عن تراثهم، كلّ تراثهم، وأن نجمعه وأن ندرسه بجد ومنهجية، وأن نعتمد على معطياته لنرى أن تاريخنا ليس هو ما يصوره لنا جهلنا، وليس هو ما أراد الاستعمار أن نراه عليه.

4 : مع جمع من علماء الجزائر

هذا، وبما أن الوقوف مع كل منهم غير ممكن، في إطار هذا المقال، كما قلنا فإن الوقوف مع بعض منهم أمر لا بد منه لنثبت ما نقول ونجلو أبعاده، ولنتذكر شيئا مما نسيناه من تراثنا، ونتبين مكانتنا في الوجود، ويتبين لنا الطريق الذي يجب علينا أن نسلكه.

إن علماءنا الذين ازدانت ربوعنا بهم منذ أن ازدانت بنور ربها إلى اليوم، قد قاموا بواجبهم نحونا، ونحو المسلمين والإنسانية إلى أقصى الحدود. ومن الممكن أن نتصور عظمتهم وعظمة ما قاموا به لبناء شخصيتنا الأبدية إن عرفنا مشايخ منهم يمثلونهم أحسن تمثيل وأصدقه

من جهة، ويثبتون بما لا يمكن دحصه أن الثقافة الجزائرية كانت سامية في أزمنتهم، وكانت تهين على غيرها في ميادين كثيرة من جهة أخرى. وهم مشايخ ظهروا بها حيثما استقرت اللغة العربية فوق ربوعها واعتمادها أهلها لغة لهم. ومشايخ من الواجب علينا ان نعرفهم، وإن باختصار كبير، وأن نعرفهم بدقة تجلو لنا قيمتهم وقيمة أعمالهم على حقيقتها، وتجلو لنا تميزهم بها على غيرهم من العلماء بما هو لهم دون سواهم.

ومنهم، وممن سنعرِّف بهم فيما يلي: الإمام الداودي ثم ابن رشيق، والشيخ يوسف البسكري والإمام الورجلاني، والشيخ ابن معطي، والإمام الآبلي، والإمام الشريف الحسني، والإمام السنوسي، والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ عبد العزيز الثميني، وابن حمادوش القسنطيني والأمير عبد القادر الجزائري.

وهم من عهود مختلفة، وجهات متعددة، واختصاصات متنوعة .

وهم ممن انتفعت الجزائر وبلدان المسلمين الأخرى بعلومهم في الشرق والغرب. وبالفعل، فهم عمالقة، ومعرفتنا بهم وبغيرهم ممن لم نذكرهم، وهم كثيرون، ومعرفتنا بتراثهم في عمقه، وفيما كان يمكن أن يؤول إليه لو يعترضه عهد الانحطاط هي المعرفة التي ستكشف لنا صورة تاريخنا على حقيقته، وتكشف لنا كم شوه الانحطاط من جهة، والاستعمار من جهة أخرى، هذه الصورة في أعيننا.

وهي المعرفة التي ستحملنا على النهوض بالحق، لانها هي التي ستحيي في أعماقنا منابع الحياة التي هي الحياة بالحق، وتسمح لنا بأن نكون.

5 : الإمام الداودي أول شارح لصحيح البخاري

إن الإمام أحمد الداودي الذي نشأ بالمسيلة، وتوفي بتلمسان سنة 402 للهجرة وسنة 1011 للميلاد، له فضل السبق على غيره من علماء المسلمين في القيام بأعمال علمية جليلة. فهو أول من شرح صحيح البخاري، وسمى شرحه له «بالنصيحة» فحاز به الفضل على جميع من تقدمه أو تأخر عنه من العلماء. ولقد شرح، أيضا، موطأ الإمام مالك بكتابه «النامي» وألف كتبا أخرى في الدين منها تفسير للقرآن الكريم تداوله العلماء في عهده ومن بعده، ودرسوه ونقلوا عنه، ومنهم الشيخ عبد الرحمان الثعالبي (786- 875ه/ 1384- 1470 م) في تفسيره «الجواهر الحسان». وهكذا فهو من العلماء المبرزين في اختصاصه، وممن تعتز الجزائر بهم، وبما كان منهم في سبيل الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة مما انتفع به المسلمون كلهم [7] إلى اليوم.

هذا، ومن العلماء الذين تعتز بهم الجزائر، وتفاخر بهم، الحسن بن رشيق صاحب كتاب العمدة في علم البلاغة.

6 : ابن رشيق والبلاغة العربية

إن الحسن بن رشيق الذي ولد في المسيلة، مثل الإمام الداودي، سنة 385 للهجرة وسنة 995 للميلاد، وتوفي سنة 463 للهجرة وسنة 1071 للميلاد، بصقلية، هو من أكبر علماء البلاغة العربية في كل عصر، إذ هو من المؤسسين لها. ولقد اشتهر بها في المشرق والمغرب، مثل الشيخ عبد

القاهر الجرجاني (تـ 1078م) الذي كان معاصرا له، واعترف العلماء له بالإمامة فيها، واعتبروا كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» كتابا لا يستغني عنه الدارسون والباحثون حيثما وجدوا.

وهو كتاب يدرس فيه اصول الشعر وقواعده، وأنواعه نظريا وعلميا، ويدرس فيه، وبالخصوص علاقة اللفظ بالمعنى، وهي علاقة يعتبر فيها اللفظ جسما، والمعنى روحا له، ويعتبر ارتباط بعضهما ببعض كارتباط الروح بالجسد...

هذا، ولقد تحدث ابن خلدون عن كتابه هذا واعتبره كتابا «انفرد بهذه الصناعة، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده، مثله» (8).

وهو رأي لا يخالف فيه من يعرف أن ابن رشيق أهدى كتابه هذا إلى الشيخ الجليل علي بن أبي الرجال (تـ بعد 1040 م) المنسوب إلى القيروان، وإن لم يكن منها، ومن يعرف أن هذا الشيخ هو من جملة مشايخه، ومن كبار أدباء المغرب وعلمائه الفلكيين، معروف بكتابه «البارع» الذي ترجمه الأوربيون إلى اللاتينية، واستفادوا منه، وطبعوه عدة مرات منذ طبعته الأولى بالبندقية سنة 1485 للميلاد (9).

هذا، ومن علمائنا الذين بلغوا درجة الإمام الداودي والشيخ ابن رشيق الشيخ يوسف أبو القاسم البسكري.

7 : الشيخ يوسف البسكري إمام القراءات:

إن الشيخ يوسف أبو القاسم البسكري ولد ببسكرة سنة 1012 ونشأ بها، ثم فارقها للتطواف في بلاد المشرق والمغرب بحثا عن القراءات المشهورة والشاذة.

ولقد كان منه أن زار أصبهان وبغداد ونيسابور واخذ عن مشايخها... وكان منه أن استدعاه إذ ذاك الوزير نظام الدين السلجوقي (1018-1092م)، صاحب الإمام أبى حامد الغزالي (1111م)، للإقراء في مدرسته بنيسابور سنة 458 للهجرة، فاستجاب له، واخذ يدرس بها وينشر علمه إلى أن وافته المنية سنة 465 للهجرة، وسنة 1071 للميلاد.

ومن تآليفه التي برز بها كتابه العظيم «الكامل في القراءات» الذي ضمنه خمسين قراءة بألفين ومائتين وتسعين طريقا.

وهو كتاب بذل في سبيل تأليفه من الجهود ما لا يتحمله إلا الذين لا يرون لحياتهم معنى إلا بالعمل الدؤوب في سبيل العلم ومثله التي يجب أن تسود فوق هذه الأرض. إنه يقول: خرجت من بسكرة ، وهي وسط المغرب حتى وصلت إلى «أوش» وهي مدينة قرب فرغانة وسط المشرق، مع ما زرت ودخلت من البلدان يمينا وشمالا، وسهلا وجبالا، ولم أستنكف أن أقرأ على أحد، صغيرا أو كبيرا، ذكرا أو أنثى. ولقد بقيت أقتبس منهم ثلاثا وأربعين سنة في السفر، مع الجوع والفقر، ليلا ونهارا.... فجملة من لقيت في هذا العلم 365 شيخا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة...ولو علمت أن أحدا تقدم في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته.. هذا ولقد ألفت كتابي «الكامل» وجعلته جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة...ونسخت به مصنفاتي «الوجيز» و«الهادي» [10].

إن هذا الكلام ثقيل جدا ولا يقوله إلا عالم بالحق يعرف أن طلب العلم لا يتناهى. ولقد علق ابن الجزري (751-833 هـ/1350-1428 م)

عليه، فقال: «كذا ترى هم السادة في الطلب»، وكذا هم علماء الجزائر في كل مكان، وفي كل زمان!

8: أبو يعقوب الورجلاني العالم الفيلسوف

وبالفعل، فأبو يعقوب الورجلاني الذي ولد في ورجلان سنة 500 للهجرة، و 1106 للميلاد، وتوفي بها سنة 570 للهجرة و 1174 للميلاد، معروف هو الآخر بعلمه الغزير، وبرحلاته المتعددة في طلبه.

لقد رحل إلى بلاد الأندلس للاخذ عن علمائها، وعاش فيها بقرطبة، ورحل منها إلى بلاد المشرق وحواضره العلمية.

ولقد كان منه أن وصل في بعض رحلاته العلمية إلى قريب من خط الاستواء الذي يسكن في نواحيه ناس يخافون البيض ويحسبونهم ملائكة ينزلون عليهم من السماء.....وسافر إلى الحجاز، ثم رجع إلى بلده «ورجلان» للاشتغال بالدرس والتدريس والتأليف ونشر العلم....

ومن أعماله الجليلة كتابه العظيم «الدليل والبرهان» الذي هو موسوعة فريدة لا مثيل لها في علوم الدين والفلسفة، وفي تاريخ المسلمين والثقافة في عصره.

وهو كتاب يشرفه، ويشرف الجزائر والمسلمين والإنسانية، لأنه كتاب فريد من نوعه، وكتاب يعرض فيه صاحبه أفكاره فيما كان يحرك فكر المسلمين في عصره.

ولذلك ترجم جزء منه إلى الفرنسية في بداية القرن العشرين، وهو مع هذا لا زال لم يطبع باللغة العربية طبعة تليق به إلى اليوم.

إن تراثنا العلمي عظيم جدا. ولقد كان رائدا، وفي مقدمة الإنتاج الثقافي في العالم لمدة قرون. وهو يشهد لنفسه بنفسه [11].

9 : الإمام ابن معطي صاحب أول ألفية في النحو

ومن الممكن أن نزداد تحققا مما نقول إذا عرفنا أن الإمام يحيى بن عبد المعطي الزواوي الذي ولد سنة 1169 للميلاد، وتوفي بالقاهرة سنة 1231 للميلاد، هو مؤلف أول ألفية في النحو، وأنه هو الذي يشير إليه الإمام بن مالك الأندلسي رحمه الله (600-673 هـ/1203-1274م) في ألفيته لدى وصفه لها في بدايتها بكونها «فائقة ألفية بن المعطي» ، ثم ينتبه إلى ما بدر منه، فيتراجع عنه، إلى حد ما، ويصلح كلامه ويعترف له بفضيلة السبق، فيقول :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائيا الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة

لقد كان ابن المعطي أحد أئمة عصره في علوم اللغة العربية، ولقد انتفع بعلمه ناس كثيرون في مصر، لما استقر بها، وتصدى لتعليم الأدب واللغة في الجامع العتيق، بعد مقامه في دمشق زمانا.

وهو، وإن لم تنل ألفيته بعد وفاته شهرة ألفية بن مالك، من أعلام اللغة العربية، ومن مفاخرها. وهو مثال لعلماء الجزائر عبر العصور في طلبهم للعلم بصدق وفي تمكنهم منه، وتلبسهم بحقائقه، وحرصهم على إثرائه، وتنظيمه، والإحسان في طريقة عرضه، وتبليغه، وتعليمه[12].

ويظهر أن هذه الصفات زينة لكل منهم سواء ظهروا قبل الإمام بن المعطي أو من بعده. ومن هؤلاء ممن ظهروا بعد الإمام ابن المعطي، وممن يجب علينا أن نذكرهم لما لهم من الفضل العظيم بما قدموه للثقافة الجزائرية والإنسانية بصفة عامة: الإمام الآبلي والإمام الشريف الحسني.

10 : الإمام الآبلي عالم الدنيا

لقد ولد الإمام الآبلي في تلمسان (681هـ/1282م)، ونشأ بها في كفالة جده، القاضي محمد غلبون الذي لقنه مع مشايخ آخرين مبادىء العلوم. ولقد كان منه أن سبقت إلى ذهنه محبة التعاليم فانكب على دراستها بشغف، وبرع فيها....وانتقل إلى المشرق ليزداد تعمقا فيها فلقي بها فرسان المعقول أمثال ابن دقيق العيد (تـ 702هـ/1302م). ولكنه لم يأخذ عنهم لمرض ألم به، فرجع إلى تلمسان، ودرس بها على ابني الإمام عبد الرحمان (741هـ/1340م) و عيسى (749هـ/1348م). وهما جبلا علم اجتمعا بشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية (661-728هـ/1263-1328م)، وناظراه وظهرا عليه.

هذا، ولقد فر الآبلي من تلمسان بعد مقامه بها إلى المغرب لينجو من السلطان أبي حمو الأول(تـ 718هـ/1318م) الذي أراد أن يكرهه على العمل في ديوانه. وكان منه أن اختفى في فاس عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي، فأخذ عنه فنونها ومهر فيها، ثم فارقه وارتحل إلى مراكش، ونزل بها على الإمام ابن البناء (661-728هـ) شيخ المعقول

والمنقول، وصاحب القدم الراسخة في التصوف علما وحالا، فلازمه وتضلع عليه في علم المعقول والتعاليم والحكمة، ثم فارقه والتحق بالسلطان أبي الحسن المريني الذي نظمه في طبقة علمائه فعكف لديه على التدريس، ولازمه، وحضر معه وقعة طريف والقيروان قبل أن يستقر بتونس للتدريس، فدرس عليه ابن خلدون بها ثلاث سنين بدون انقطاع واخذ عنه فنونا من العلم.

ولقد درس من بعد ذلك في بجاية، لمدة شهر، وانتقل منها إلى تلمسان ثم إلى فاس حيث توفي سنة (757هـ/1350م) بعد حياة طويلة قضاها في الترحال بين حواضر العلم طلبا منه للمزيد من المعرفة إن وجد من يتعلم منهم، ونشرا لها إن احتاج طلبة على تعليمه في أي بلد كان.

ولعل ذلك لأنه كان يعتبر نفسه طالبا لمن هو أعلى منه معرفة، وأستاذا سريع الاستجابة، وفي كل وقت، لمن هو في حاجة إليه، لأنه كان يرى أن الجهل هو الذي أودى بالمسلمين، وان العلم هو الأساس الذي يقوم عليه كل بناء، والدعامة التي يرتكز عليها، والقوة التي يستمر بها. ولذلك فإنه يجب نشره بين المسلمين بكل جهد.

وبالفعل، فلقد كان يؤلمه ما صار إليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها حينما صاروا يعرضون عن القيم التي ما فتىء الإسلام يدعوهم إليها لأنها قوام الحياة دون سواها وصار الجهلة منهم هم أصحاب الحل والربط، واهل الأمر والنهي في مجال الدين، والعلم، والسياسة، والأخلاق، والحكم، والتسيير، والآداب، والفنون وغيرها.

ولقد كان يؤلمه رحمه الله أن يرى أشباه العلماء يتهافتون على تفسير القرآن الكريم الذي هو من أصعب الأمور، ويقدمون عليه بدون تهيب ظنا منهم أن قصورهم علم، وفي مستوى تعاليمه القدسية.

وكان يؤلمه ما كان المسلمون عليه، من عداوة بعضهم لبعض، واشتهار بأسهم بينهم، وضعفهم عن عدوهم بسبب ذلك.

وكان يؤلمه تعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم، واختلاف أنسابهم وعوائدهم، وانتزاع الخلافة من أيديهم، وسيرهم في الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى.

وكان يؤلمه تحريفهم الكلم عن مواضعه لجهلهم بالتأويل وقولهم في القرآن والدين بآرائهم المنحرفة ودعاويهم الباطلة... فلا يسعه وهو يرى ما صار المسلمون إليه وما كان يجري في زمانه بينهم، وما كانوا مقبلين عليه، إلا ان يقول : (لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل في بني إسرائيل لأننا أتينا أكثر مما أتوا...).

لقد حاد المسلمون عن طريق الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة في نظره. لقد زادهم بعدا عنهما، وبالتالي بعدا عن العلم كثرة التآليف لأنها نسخت الرحلة التي هي أصل جمع العلم من جهة، وبناء المدارس التي ينجذب الطلبة إليها لا لرغبتهم في العلم ولكن لما توفره لهم من الأمداد وتفتحه أمامهم من الوظائف لخدمة الحكام الذين يرضون بها لهم ولكنهم يصرفونها عن غيرهم من أهل العلم بالحق، ولا يدعونهم إليها، وإن دعوهم إليها لم يجيبوهم، وإن أجابوهم لم يوفوا لهم بما يطلبونه من غيرهم.

إن هذا الكلام منه عن كثرة التآليف وبناء المدارس يحتاج إلى شرح طويل كما يقول. ومع هذا فإننا نستطيع أن نفهم ما يقول من خلال حالتنا اليوم وحالة المسلمين في الماضي.

لقد ترك المسلمون الرواية، وانقطعت أسانيد العلوم كلها بينهم فكثر التصحيف فيها، وانقطعت سلسلة الاتصال بين علمائهم فصارت الفتاوي تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها....

وهكذا فهم لم يفقدوا عزتهم الأولى إلا حينما انحرفوا عن سيرتهم المثلى وساد الجهل بينهم وأهملوا العلوم، وانقطعت أسانيدها بينهم إن في العلوم اللغوية أو الدينية أو الوضعية وصاروا يتجاسرون حتى على القرآن فيقولون فيه بما تمليه عليهم أهواؤهم ولا يرضي الله والرسول. وما ضعفهم وتفرقهم واستئساد الأمم عليهم إلا مرآة تعكس مظاهر جهلهم بالحياة وبما تتطلبه لتكون كريمة، ومظاهر جهلهم بدينهم وبما يقتضيه منهم ليكونوا كما وصفهم الله في قوله لهم: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (سورة آل عمران، الآية 110).

لقد ظهر الإمام الآبلي بتلمسان في زمان كانت فيه كتب الإمام الفخر الرازي (606هـ/1210م) قد وصلت إليها. وأخذ العلماء يتدارسونها، ويشرحونها، ويبنون عليها، وانتبه هو إلى أهميتها وما تحتوي عليه من الكنوز النادرة في علوم المعقول والمنقول فتقبلها ، واختار من بينها كتاب

«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والحكماء والمتكلمين» وصار يدرسه ويشير على طلبته بتلخيصه ليتمكنوا من مباحثه ولتصير هذه من بنية أفكارهم ومن منطلقات بحثهم وأدواته، ومن الوسائل الناجعة للتقدم بهم نحو جزر الفكر المجهولة.

هذا، ولقد كان من بين طلبته الذين لخصوا هذا الكتاب العلامة ابن خلدون (1332-1406هـ/1263-1328م) وهو كتاب جليل على الرّغم مما وجهه اليه الامام ابن تيمية رحمه اللّه (661 ـ 728 هـ 1263 -1328 م) من انتقادات غير مؤسسة تجاسرا منه على صاحبه الذي كان لمؤلفاته رواج كبير في المشرق، وانتشار عظيم من بعد ذلك في المغرب، وفي الجزائر المحمية الغالية بالخصوص.

وهي انتقادات لم يرض الإمام الآبلي عنها، ولا سيما حينما نقل إليه البيتان اللذان قالهما عنه. لقد أغضبه هذان البيتان، واستفزاه فقال، وقد كان جالسا، وبيده قضيب : والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب هكذا، ثم رفعه ووضعه.

وهذان البيتان هما:

محصل في أصول الدين حاصله　　من بعد تحصيله علم بلا دين

أصل الضلالة والإفك فما　　فيه فأكثره وحي الشياطين

إن رفض الآبلي وأتباعه لما في هذين البيتين، دليل على أن الجزائر كانت للمنطق والعقل والتقدم والرقي منذ العهود الأولى لانتشار العلم فوق ربوعها، ولم تكن قط للخرافة والتخلف والانحطاط. ولهذا فإنّا

لنرجو أن تكون نهضة المسلمين بالحق فوق ربوعها المباركة، وعلى أيدي بناتها وأبنائها...

وهي نهضة كان الآبلي يحلم بها، ويعمل ما في وسعه من أجلها، بإرشاد طلبته إلى ما يمكنهم من السير قدما في طريقها.

وهكذا فإنا لا نشك في أن ما أتى به ابن خلدون في مقدمته يجد مصدره فيما أخذه عنه كما تشير إلى ذلك النصوص التي أوردناها له، وكما يشهد على ذلك ابن خلدون نفسه حين يقول بأنه أخذ منه الكثير وأخذ عنه حتى فكرة العصبية. ولاشك أيضا في أن الدراسات الجادة ستثبت ما نقول، وستبرز ما يدين به ابن خلدون لأساتذته الجزائريين فيما وصل إليه مما هو محل عناية فائقة اليوم من طرف علماء الدنيا كلهم.

إن الآبلي لم يؤلف كتابا، ولكنه كون مع ابن خلدون علماء آخرين لهم من الباع الطويل ما لابن خلدون. وإذا كنا لا نعرفهم فلأن قرون الانحطاط كادت أن تطمس آثارهم [13].

11: الإمام الشريف الحسني أو الأستاذ ملأ المغرب علما وتلاميذ

ومن هؤلاء ممن يجب علينا أن نذكرهم الإمام أبو عبد الله الشريف الحسني صاحب ابن خلدون وزميله. وهو الإمام الفذ فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والاصول، شيخ الشيوخ، حسب حجة الإسلام الإمام ابن مرزوق الحفيد (766-842هـ/1364-1438م)، وأعلم أهل عصره القاطبة.

لقد أخذ كابن خلدون عن الإمام الآبلي، وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه، إلى أن صار الإمام الآبلي أستاذه يقول عنه: هو أوفر من قرأ علي عقلا وأكثرهم تحصيلا.

وبالفعل فلقد كان يحيط بعلوم زمانه كلها، وكان إماما في العلوم العقلية، منطقا كانت هذه أو حسابا أو تنجيما أو هندسة أو موسيقى أو طبا أو تشريحا أو فلاحة، وكان صاحب معرفة عميقة عالية بكثير من العلوم القديمة والحديثة.

لقد كان يقف مع العلم حيث وقف، وكان يحيط بأيام الله علما، ويزيد اجتهاده حيث ينتهي أمره.

فسر القرآن في خمس وعشرين سنة فأفاد وأجاد.

وانصب للتدريس فدرس كل علوم زمانه وبث علمه بإيمان وإخلاص فملأ المغرب علما وبقي على ذلك إلى أن اضطربت أموره بعد واقعة القيروان، وذهبت ريحه.

هذا، ولقد ارتحل إلى تونس ليأخذ عن الإمام ابن عبد السلام (تـ 661هـ) ولكن هذا الأخير سرعان ما تبين له قدرته في العلوم فأخذ يدرس عليه في بيته فصل التصوف من كتاب الشفاء لابن سينا (980-1037م)، وتلخيص كتب أرسطو (384-322 ق م) لابن رشد (1126 - 1198م)، وغير ذلك من العلوم الدينية والوضعية.

وارتحل أيضا على فاس فالتف الطلبة حوله ونهلوا من منابع علمه ما أنعش نفوسهم وارتقى بها لأن اعتناءه كان بالإقراء، ولم يكن بالتأليف،

ولقد تخرج عليه منهم من لا يحصى من صدور العلماء وأعيان الفضلاء والنجباء.

ومن هؤلاء، وبالخصوص الإمام الشاطبي (تـ 790هـ/1388م) صاحب كتاب الموافقات. وهو الكتاب الذي اهتم به الإمام السيد رشيد رضا (1865 - 1935م)، فطبعه، وانكب العلماء عليه لما فيه من الإعراب عن نوع من الحقائق الدينية التي لا يستغني عنها الفهم الصحيح لتعاليم الدين.

وهي حقائق انتقلت إليه من أستاذه العظيم الإمام الشريف الحسني، ابن تلمسان، الذي أخذ عن الآبلي عالم الدنيا، وكان منه أن عاش مع القرآن الكريم، وبه وله، إذ كان كثير التدبر في آياته وكثير التطلع للشواهد، وكثير النظر في الملكوت بعبرة وفكرة.

إن الإمام الشاطبي هو أول من زرع البذور الأولى لعلم مقاصد الشريعة. الذي هو علم عظيم يكتمل به علم أصول الفقه الذي وضعه الإمام الشافعي رضي الله عنه (150-204هـ/767-820م)، وعلم قواعده الذي وضعه سلطان العلماء العز بن عبد السلام (تـ660هـ/1262م)، وعلم الفروق بين قواعده الذي وضعه الإمام القرافي (تـ684هـ/1285م). هذا، ولا شك في أن الكنز الذي انتقلت منه لبناته الأولى على فكر الشاطبي هو تعليم أستاذه الإمام الشريف الحسني من جهة، ومادة كتابه «مفتاح الوصول على بناء الفروع على الاصول» من جهة أخرى.

ولا شك في أنّ الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور، شيخ مشايخي في الجامعة الزيتونية، عمرها الله، هو الذي انتبه إلى ما في كتاب الموافقات للشاطبي من الحقائق، فاعتمدها، وبنى عليها، وأكملها في كتابه العظيم «مقاصد الشريعة الإسلامية» وهو كتاب عشنا معه ولازلنا وهو من جملة الكتب العليا التي نهلنا منها ولازلنا، إن اللغة العربية وإن باللغة الفرنسية.

هذا، ولازال علم المقاصد قابلا للإكمال، ولا زال ينتظر من يرقى به إلى قممه بالحق، ويمنح للمسلمين عن طريقه ما يقدمهم، ويرقيهم ويوصلهم إلى تلك الدرجة التي يجب عليهم بلوغها [14]، ليكونوا مسلمين بالحق.

12 : فتوحات الآبلي العلمية ومداها:

إن الحركة الفكرية العظيمة التي كان الإمام الآبلي مصدرا لها في الجزائر قد آتت أكلها، وبعثت في البلاد وعيا جيدا متعدد الوجوه أعرب عنه طلبته بأعمالهم الجليلة وهم كثيرون، ولم نذكر منهم إلا قليلا جدا، وأعرب عنه طلبة طلبتهم وهم أيضا كثيرون ولم نذكر منهم إلا النزر اليسير.

وهي حركة تدين لها الجزائر بنهضة لها عارمة أثرت الفكر الحديث بوضعها ثلاثة علوم هي، في زماننا، أساسية، وهي علم الاجتماع، وعلم فلسفة التاريخ ثم علم مقاصد الشريعة أو فلسفة القانون.

وحركة يمكننا اعتبارها من بعد هذا حداثة بالمعنى الصحيح لأنها عن نقد بناء للواقع الفاسد الموروث عن ماض منحرف، ولأنها توجّه صادق نحو المستقبل، وإعراض عن الخرافة وإقبال على العقل وترك للتخلف وتمسك بالتقدم.

وبالفعل، فهي حداثة تقدمت الجزائر كلها بسببها كثيرا، وصارت في مستوى بلدان الشرق وفي مستوى بلدان الغرب كما تثبته المقارنة العادلة بينها وبين بلدان العالم في زماننا. وهي حداثة كانت لتعرف ما عرفته الحداثة الأوربية من الازدهار في شتى مجالات العلم والعمل لو لم تمنعها حركات التاريخ في الشرق والغرب من المضي قدما، ولم تستحوذ أوربا على غيرها من البلدان بعد أن أصلحت أمورها بما أخذته عن المسلمين أنفسهم وطورته وصارت تهيمن به عليهم، وعلى العالم بأسره.

لقد ازدهرت العلوم في الجزائر ووصلت إلى حد كادت أن تنتقل به إلى ما آلت إليه أوربا في القرن السابع عشر للميلاد بفضل علمائها الذين صارت لهم رؤية جديدة للإنسان والوجود. وبالفعل، فلقد أدرك علماء أوربا أن المنهج ذو أهمية حاسمة في البحث العلمي وصاروا يعتمدون عليه، وأدركوا أن الرياضيات هي مقياس العلم اليقيني وأن العالم ما هو إلا أشكال وعمليات رياضية، وأدركوا أن التجربة لا يمكن الاستغناء عنها في إثبات الحقيقة، وأدركوا ، وبالخصوص، أن العلوم كلها ليست ساكنة

22 ـ عبد الغني الدقر، معجم النّحو، ط1ـ2, 1975ـ1982. دمشق: الشركة المتّحدة للتوزيع، ص 89.

23 ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4, ص 261.

ولكنها تتطور بما ينكشف للعلماء في مجالاتها من الحقائق باستمرار. وهكذا فإنهم وضعوا فوق بساط البحث كل شيء، ولم يكتفوا بما وصلت إليه البشرية من قبلهم في مجال المعرفة، بل نقدوه وصححوه وطوروه وتقدموا به إلى الأمام فتقدمت العلوم اللغوية فوق ربوعهم وكذلك الآداب والعلوم بأنواعها كلها، والصناعات والفنون، وصارت إلى ما هي عليه اليوم من الاهتمامات بهذه الأرض وبما هو فوق هذه الأرض، وبالكون وما يحتوي عليه للاطلاع على أغواره، والكشف عن أسراره.

إن علماء الجزائر لم يدركوا، كعلماء المسلمين كلهم، ما وصل الغربيون إليه ابتداء من ديكارت (1590 – 1650م) ومعاصريه إلى اليوم، ولم يستطيعوا أن يتحرروا تماما من قيود الماضي، ولا ان يتجاوزوا سلبيات مجتمعهم على الرغم من أن فتوحاتهم في العلوم المختلفة، وجهودهم في تعليم الشعب وتربيته سمحت لهم بأن يعطوا البلاد مستوى كافيا من الثقافة منحها هويتها الأبدية بصفة نهائية، وجعل هذه الهوية ثابتة راسخة تصمد أمام العواصف والزلازل.

13 : الإمام السنوسي عالم تلمسان وحكيمها وصالحها:

هذا، ويبدو لنا أن الإمام السنوسي قد قام بواجبه إلى اقصى حدّ لحماية هوية بلادنا على الرغم من أنه عاش في وقت كانت حركة التاريخ فيه تتمخض بقوة لتغيير خريطة العالم ورسم وجه أخر لها. وهي حركة صدر عنها خروج المسلمين من الأندلس واكتشاف أمريكا، وظهور

الأتراك على مسرح التاريخ، ونهوض البلدان الأوروبية، وانعزالهم عن غيرها من البلدان، وانحطاط هذه الأخيرة، وابتعادها عن الحضارة ومصادرها، وعن العالم وما يجري فيه، فانقض الغرب عليها، واستعمرها، وكاد ان يقضي عليها. ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (سورة البقرة، الآية 251).

وهكذا، فهو قد ظهر في هذا القرن بالذات، وهو محوري في تاريخ البشرية، ليقوم بما قام به الآبلي، ومن قبله، ومن بعده من العلماء، لتوعية المسلمين بالعلم، وبالعلم في كل شيءوقبل كل شيء من جهة، وليجمع زبدة فتوحاتهم الفكرية، ويعرضها في كتب ممتازة تقربها من عقول الناس، خواصهم وعوامهم، رجالهم ونسائهم، أحرارهم وعبيدهم، حتى يتحصنوا باستيعابها، ضد كل انحراف، ويعرفوا ما هي المواقف التي يجب عليهم اتخاذها، يوم أن ينقض على بلدانهم أجلاف الأمم، ويغلبوهم على أمورهم ويحاولوا مسخهم من جهة أخرى. وهو أمر نجح فيه إلى حد كبير إذ كان تعليمه الراقي هو السلاح الذي واجهوا بها قوى الغصب والاضطهاد حين هاجمتهم، والسلاح الذي تغلبوا به عليها حين آن الأوان ليطهروا أرضهم منها.

إن الإمام السنوسي عالم كبير، وحكيم بصير، وولي من أولياء الله الصالحين. ولهذا وقف حياته للجهاد في سبيل الله بالتي هي أحسن أو بالعلم والتوعية، فدرس ودرس وألف حوالي خمسين كتابا كلّها في علوم

زمانه ومصره. وهي كتبه الكلامية التي تكون نواة أعماله وكتبه المنطقية وكتبه في الطب الشرعي والوضعي وكتبه في الأسطرلاب والرياضيات وكتبه في علوم التفسير والحديث وكتبه في السيرة النبوية الشريفة، وفي الفقه والفرائض، وكتبه في اللغة والأدب، وغيرها.

وهي كتب يدل كل واحد منها على اطلاعه الكبير وعلى سعة علمه، وقدرته على التعبير، والشرح والتحليل والتركيب والتبليغ، والتمكن من المادة التي يكتب فيها، والتصرف فيها بما يجلوها، وييسرها على قارئها، مع حرصه على احترام حقوق النقل والعقل...

لقد كان رحمه الله يرى في علم الكلام أو التوحيد تاج العلوم وغايتها، ويرى في العلوم كلها طرقا إليه وأساسا له.

ولهذا فإننا لا نبتعد، ونحن ندرس هذا العلم لديه، عن العلوم الأخرى منطقية كانت هذه أو رياضية، علمية أو تجريبية، لغوية أو أدبية، ولا نبتعد أيضا عن أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حين ندرسها. فالعلوم لديه يخدم بعضها بعضا. ولهذا، فإنه ليخيل إلينا و نحن ندرس تراثه في جملته أن الدين لديه علم، وأن العلم دين، ويخيل إلينا أن موسوعيته لا غاية لها إلا أن تزيدنا علما بالدين أو دينا بالعلم.

هذا، وإذا أردنا أن نعرف مكانته بين علماء المسلمين فإننا نجده ذا علاقة متينة بالمشايخ الأجلاء الذين سبقوه إبتداء من علماء المسلمين الأولين ومن الإمام الآبلي من بعدهم إلى مشايخه المباشرين لأنه كان على طريقتهم ولأنه كان على حكمتهم، يحافظ عليها ويجددها بما يمليه

عليه حال المسلمين في عصره وبما يوصله إليه اجتهاده بناء على ما تعرب عنه النصوص الشرعية الصحيحة، ويقتضيه واقع المسلمين في عصره.

ونجده أيضا ذا اهتمام كبير بما كان يجري في عصره، وبما سيؤول إليه أمر المسلمين من بعد حين.

ونجده في النهاية يعد لهم العدة بتآليفه المختلفة القيمة ليدافعوا عن أنفسهم بالحجة والبرهان، وليعلموا بصفة نهائية أن الإسلام هو دين العلم كله وأن المسلمين لا يمكنهم أن يرفعوا له أو لأنفسهم، ألوية فوق هذه الأرض إلا بالعلم على اختلاف أنواعه.

لقد كانت تآليفه رحمه الله دعوة منه إليهم للاهتمام بالعقيدة لأنها هي التي تثبت لهم أن الله جل وعلا هو الضامن للوجود والمعرفة إذ لا وجود بدونه ولا معرفة إلاّ بنور منه لأنه هو الحق المبين، وللاهتمام بالمنطق لأنه نور الفكر إلى الصدق، وللاهتمام بالرياضيات لأنها المعيار الذي يجب أن تستلهمه معارفنا وان تعتمده، وللاهتمام بالعلوم الوضعية لأنها الجلاء لما يحيط بنا من الأسرار، والتفسير لما يصعب علينا أو يربكنا في حياتنا ويعجزنا فوق هذه الأرض، وللاهتمام بالكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة وبسيرته عليه الصلاة والسلام وحياة صحابته رضوان الله عليهم لما في ذلك من التعاليم الدينية التي تهدي إلى الله وإلى نور منه، وللاهتمام من بعد ذلك بمراجعة كل العلوم التي لهم فيها قدم وساق وترقيتها كلما أمكنهم ذلك، وللاهتمام بكل العلوم التي تظهر في أزمنتهم، ودراستها والبحث فيها والتقدم بها، وترقيتها لا للبحث من

أجل البحث ولكن عبودية لله وإعلاء لكَلمته وتحسينا لأحوال خلقه وعباده طلبا لمرضاته.

وبالفعل فلقد انتشرت كتبه في بلدان المسلمين فانكب عليها الناس في الشرق والغرب، في آسيا وفي أواسط إفريقيا وفي إفريقيا الشمالية، وحتى في أوربا..وانتبه إليها العلماء فصاروا يدرِّسونها، ويدرُسونها ويشرحونها ويعلقون عليها ويلخصونها ويستلهمونها ويؤلفون على غرارها، إلى درجة صارت فيها كتبا مدرسية، تكيف عقول الناس وتصونها بما يضمن لها الاستقرار وإن بدون تقدم، والثبات وإن وسط الزوابع الهوجاء التي كانت بلدانهم تتعرض لها.

لقد كان يدعو إلى تحكيم العقل في النهاية للبث في كل القضايا العارضة.

وكان يدعو إلى تعليم كل الناس حسب مستوى كل منهم.

وكان يدعو إلى تفتح المسلمين على غيرهم، وإلى دراسة عقائدهم ليجادلوهم بالتي هي أحسن، وعلى بينة من أمرهم.

وكان يدعو علماءهم إلى أن يكونوا أصحاب مروءة علمية لان العلماء الذين ليس لهم هذه المروءة هم أخطر على المسلمين من أعدائهم. وهؤلاء كانوا كثيرين في زمان السنوسي. وهم كثيرون جدا في زماننا.

إن الإمام السنوسي كان قلعة حصينة منيعة للإسلام السني في تلمسان الغراء، ولا يزال كذلك عن طريق كتبه التي لا تزال تدرس في معاهد الدين الإسلامي حيثما كانت.

وبالفعل فأنوار الحقيقة التي تشع منها والتي يدعو الإسلام الناس إليها، وهي أنوار لدنية، قد تمكنت من قلوب المؤمنين وأرواحهم وأعانتهم على السير بثبات حتى في ظلمات التخلف والجمود.

ولذلك فإن الانحطاط الذي وقع المسلمون فيه لعدة قرون، وكذلك الاستعمار الذي عانوا منه، لم ينل شيئا من عزيمتهم وأبقى عليها حية صامدة إلى أن جاء يوم التحرر والنصر. وهكذا، فلقد كان أبناء هذا الشعب العظيم، أولئك الأبطال الأسطوريون الذين حرروا بلادنا الغالية من برائي الطغيان، يصيحون وهم يواجهون زبانية الاستعمار في قاعات التعذيب: «الله أكبر ! تحي الجزائر ! يحيا الإسلام ! وتحيى العربية !» ولقد كنت أسمعهم وأنا بالقرب منهم في زنزانة مع آخرين، ولكأنني أسمع من أفواههم صدى قدسيا لدعوة السنوسي ومن قبله ومن بعده من علماء شعبنا العظيم.

إن الإمام السنوسي عالم عظيم ومؤلف قدير وحكيم بصير. وهو في التاريخ الفكري للجزائر وللمسلمين طود شامخ على الرغم مما يقول عنه كثير من أقزام المؤلفين الذين هم ليسوا في مستوى علمه الموسوعي، ولا يعرفون عنه إلا القليل، ومع ذلك فإنهم يتجاسرون عليه لغرورهم، ويحكمون عليه بما هو بعيد عنه فلا يكون منهم في النهاية إلا الكشف عن جهالتهم.

كناطح صخرة يوما ليفلقها
فلم يضرها و أوهى قرنه الوعل

إن الإمام السنوسي من مفاخر الجزائر الدائمة. فهو عالمها في عصره، وحكيمها وصالحها، والنيل منه عن قصد أو غيره هو تشويه لتاريخ الجزائر الثقافي، ومحاولة دنيئة للقضاء على هويتها الأبدية، وهي محاولة سعى الاستعمار لإنجاحها بكل الوسائل الجهنمية، ولكنه لم ينجح لأنه لم يرد أن يفهم لغباوته أن الأمازيغية والإسلام والعروبة في الجزائر وحدة لا تتجزأ أو قلعة واحدة حصينة منيعة.

هذا وليس الإمام السنوسي أكبر علماء الجزائر الأعلام ولكنه واحد منهم. وبالفعل، فهو خير خلف لمشايخه ولمشايخهم إلى رسول الله ﷺ، وهو أحسن سلف لمن ظهر بعده من العلماء الجهابذة، مصابيح الجزائر، وهداتها في السراء والضراء وفي أيام الانحطاط والجمود، وفي ليالي الاستعمار....

14 : الشيخ مصطفى الرماصي إمام الفقهاء في عصره:

ومن هؤلاء، وبكل استحقاق وامتياز، الشيخ الإمام مصطفى الرماصي (ت1136هـ/1724م) الذي اثبت للقريب والبعيد أن الجزائر التي هي ارض القانون منذ أن أشرقت ربوعها بنور الإسلام تعرف ما هو القانون.

وبالفعل فهو حامل لواء الفقه المالكي في عصره، والباعث لروح جديد في دراسة المشايخ لمختصر خليل بن إسحاق المعروف بالجندي (تـ 776هـ) والواضع لحاشية فريدة من نوعها على شرح الشمس التتائي (تـ 942 هـ) له.

وهي حاشية نالت إعجاب الأئمة إذ فتحت أمامهم طرقا جديدة للنظر والفهم، وصارت عمدة لهم يرجعون إليها في دراستهم لهذا الكتاب العظيم أو في حلهم للمشاكل التي تعترضهم فيه أو في غيره.

ويمكننا أن نعد من بين من اعتمدوا عليها الشيخ أبو عبد الله البناني (تـ1194هـ) والشيخ التاودي (تـ 1209هـ).

وممن اعتمد عليها، على ما يظهر ممّا اطّلعنا عليه في الموضوع، الجنرال نابليون بونابرت (1769 – 1821م) الذي أخذ عنها، وبمعونة من علماء الأزهر الشريف، عددا من الأفكار لا يستهان بها في وضعه للقانون المدني الفرنسي.

وهو أمر يدل على أن الجزائر لم تكن بلدا متخلفا كما يقول مؤلفو الاستعمار في كتبهم ناسين أن المتخلف هو العنصري الذي لا يحترم الإنسانية حتي في أدنى مقوماتها، والكذاب الذي يعتقد أن الإنسانية هي ما يتصوره هو بعقله المختل.

إن الشيخ مصطفى الرماصي الجزائري جد عظيم في تاريخنا العلمي. ولقد صرنا نحن لا نعرفه وكاد أن يزول رسمه من ذاكرتنا[16].

هذا، ومن علمائنا في هذه المرحلة الشيخ عبد العزيز الثميني

(1130-1223هـ/1718-1808م) مؤلف كتاب «معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين» وصاحب كتاب «النيل» في الفقه الإباضي [17].

والشيخ عبد الرزاق بن حمادوش (القرن 18م) مؤلف كتاب «الجوهر المكون من بحر القانون» الذي ضاع ولم يبق منه إلا الجزء الرابع المعروف بـ «كشف الرموز» وهو الذي ترجمه إلى الفرنسية الأستاذ «لوسيان لوكلارك» .(Lucien Leclerc) هذا، ويعتبر الشيخ ابن حمادوش من أعلام هذه المرحلة لموسوعيته وتفتّحه إلى ما كان يجري في أوربا، وطموحه إلى الارتقاء بالفكر الجزائري إلى مستواها الحضاري[18].

والأمير عبد القادر الجزائري (1808-1883م)، فارس الإيمان، وأمير السيف والقلم، والولي الصالح الذي أودع كتابه «المواقف»

أسرار الوجود وأبعاده، وحقيقة الدين المحمدي ومقاصده، ورسالة الإنسانية فوق هذه الأرض ومعنى وجودها بها...ورحيلها عنها...

وهو من الشخصيات البارزة في القرن التاسع عشر للميلاد بما كان منه في حياته من جهاد في اللّه حق جهاده، وبما تركه بعد مماته في كتبه من العلوم اللدنية والإشارات السنية التي أوصله إليها الفهم العميق، والفهم نور ينبجس من منابع الجود الإلاهي ولا يحظى به إلا أهل العلم والصدق، والمحبة والإيمان الذي يحرك الجبال [20] ....

15 : الجزائر بلد علم

إن الجزائر بلد علم في عصورها كلها على الرغم من أن السياسة فيها عبر القرون لم تكن دائما سوية قويمة.

وهي اليوم ذات إمكانيات لا يستهان بها تسمح لها بنهوض ثقافي عظيم يربطها بعهود علمائها العظام، ويؤهلها لإصلاح شؤونها بنفسها، ويهيئ لها مكانا جدّ مرموق تصير به في مستوى عصرها بالحق، ويسمح لها بأن تلحق بالركب وأن تتوجه مع الأمم الأخرى كشريك بالحق نحو المستقبل ووعوده.

فالمشاكل اللغوية التي تعترضها والمشاكل العديدة التي يتخبط فيها تعليمها على اختلاف أنواعه ودرجاته، والمشاكل الدينية التي تعكر حياتها الروحية، والمشاكل الفنية والترفيهية وغيرها من المشاكل التي تعترض الناس في أطوار حياتهم المتعاقبة ليست مشاكل بالكلية لأنها مشاكل قابلة للحل لو كان الذين يتولون أمرها هم في أغلبهم رجال دولة وفي المستوى الذي يبتغيه منهم فخامة السيد رئيس جمهوريتنا حفظه اللّه وسدد خطاه.

وبالفعل فالذي لا يعرف «آجروميته» كاملة غير منقوصة، من بدايتها، في عهود نشأتها الأولى، إلى نهايتها مع النحاة المتأخرين، لا يستطيع مهما كانت ادعاءاته أن يحافظ على لغة هذه البلاد الغالية، ولا أن يثريها، ولا أن يجددها ولا أن يصلحها، ولا أن يجعل منها لغة تعامل وتخاطب، وعلوم وحضارة..

والذي لا يعرف «متن ابن عاشر» في صريحه وفي سره، ولا يعرف كيف كانت نشأة مادته ولا كيف كان تطورها وما آلت إليه، ولا يعرف كيف برزت أصولها ومقاصدها وتأويلاتها عبر القرون، لا يستطيع مهما

كانت ادعاءاته أيضا ان يعلم الناس دينهم ولا أن يفتيهم فيه ولا أن يتولى شؤونه.

وهكذا فإن كل من لا يعرف ما هو الفن وما هي الفلسفة وما هو التاريخ وماهي العلوم على اختلاف أنواعها، وما هو قدره في سلم الوجود وما هي الغاية التي يجب عليه أن يبلغها، لا يجب عليه إلا شئ واحد هو الاكتفاء بما يسمح له به مستواه فحسب، أو الالتزام بالسكوت، ومن لا يعرف فما عليه كما يقول«فتجنشتين»(1889 - 1951 م) إلا السكوت، في الجملة الأخيرة من كتابه «البحث المنطقي الفلسفي».

إن الإنسان لا قيمة له إلا بإدراكه للحق الممكن بالنسبة إليه في هذه الحياة وبالعمل من أجل سيادته على الناس فوق هذه الأرض.

16 : العربية هي لغة الجزائر

ولهذا، فإن الجزائر يجب عليها أن تجند أعلم أبنائها بلغتها لتسترجع لغة علمائها العالية، ولتثريها بما لا يشوه جمالها، ولترتقي بها لتصير لغة العلم والروح ولغة التخاطب كما كانت قبل أن تدخل عليها رطانات العجمة،ويوم أن كان لها جنود يخدمونها ولا يخدمون بها. ويظهر لي أن تطورها، وبسرعة جد ممكن لأن الأعمال التي قام بها إخواننا في الشرق والغرب متقدّمة، ولانها لغة كاملة مكتملة تستطيع أن تواجه المشاكل التي تعترضها وأن تحلها إذا كان لها رجال هم من مستواها بالحق، ووفرت لها الدول العربية الوسائل التي لا زالت تعوزها.

فالمشاكل التي تنسب إليها هي مشاكلنا وليست مشاكلها. ومن الواجب علينا، بدلا من أن ننظر إليها لنثبت عجزها، أن ننظر إلى أدواتنا وإلى معارفنا الحالية بها لنرى هل هي حقا ناجعة.

لقد كانت اللغة الفرنسية في القرن السادس عشر للميلاد لغة متخلفة لا تستجيب لما تتطلبه الحياة منها لتعبر عن الوجود، وكان الناس يفضلون اللاتينية عليها للتعبير عما يعن لهم من الشؤون. ومع هذا فإنها لم تبق على هذه الحال وتجاوزتها بما لا يتناهى لأن بررة من أبنائها تعاهدوا على أن يدافعوا عنها ضد محاربيها، وعلى أن يحيوها، ويثروها ويرتقوا بها، ويجعلوا منها، زيادة على كونها لغة التخاطب والأدب والفن والصناعة، لغة العلم عوضا عن اللاتينية. ولقد نجحوا في مسعاهم، وكانوا هم من شعرائها وناثريها الأولين.

وهم سبعة يعرفون في تاريخ الأدب الفرنسي «بشعراء الثريا»، ويدرسهم طلبة السنة الثانية من التعليم المتوسط في الثانويات. وأشهرهم هما «رنسار» (1524- 1585 م) و «جواشيم دوبلاي»(1522 - 1560) اللذان هما شاعران ينبغي لنا أن نرجع إلى أعمالهما لعلنا نجد فيها ما يمكننا أن نستغله في النهوض بلغتنا، وشاعران يمكننا أن نقارن بينهما وبين شعراء المعلقات، أو بينهما وبين شعراء الجزائر في زمانهما لنرى كم كانت اللغة العربية عالية إذ ذاك على ألسنة شعرائها وعلمائها، وكم كانت عالية في مدارسها وفوق ربوعها، ولنرى من بعد هذا كم هي فظيعة، دعوى الكثيرين من المؤلفين من أبنائها وغيرهم بأن الجزائر بلد غير ذي ثقافة.

17 : آفاق الجزائر العلمية

إن الجزائر، وبدون مبالغة، بلد ذو ثقافة عالية، وفي عصورها كلها. وعلينا نحن اليوم أن نعرف هذه هذه الثقافة، بالرجوع إلى أعمال علمائها، وهي كثيرة وهم كثيرون، لنعرف بصفة يقينية ونهائية من هم أسلافنا وما الذي يجب علينا القيام به اليوم لنكون أهلا لهم وأهلا لهذه العولمة التي تداهمنا، وأهلا لأن نكون من بُناتها.

فتراثنا يؤهلنا لأن نكون في المقدمة مع من يسيرون نحو التقدم والرقي ولا يرضون لنفوسهم، وعلى أية حال، بأن يكونوا للتخلف والانحطاط. ولهذا فما علينا إلا أن نسلك الطريق الصحيح.

إن مدارسنا اليوم، كمدارسنا بالأمس، تعلّم تقريبا كل العلوم المعروفة في زماننا. ولقد بدأت تعطي ثمارها في كثير من الاختصاصات إن بالغة العربية وإن باللغة الفرنسية أو غيرها.وبالفعل، فلقد بدأ الشبان من مدرسيها، وكذلك الشابات، ينشرون، وبكل فخر واعتزاز، مؤلفاتهم في علوم اختصاصاتهم على اختلاف أنواعها، ويثرون بها تراث بلادهم العظيم ويصلون بها سلسلة أسلافهم الذهبية. وهم ينظمون من بعد هذا ملتقيات وندوات دورية يعالجون فيها قضايا الساعة في مجالات الحياة المختلفة، فيتفتحون بذلك وبغيره على ما يجري في العالم ويتوصلون بهذا، وبطرق أخرى، إلى مواصلة ما قام به أسلافهم من كل العصور في الثقافة على اختلاف تجلياتها، وإلى اللحاق بالركب، والمشاركة في توجيه المغامرة الإنسانية نحو مزيد من الكمال، عن جدارة واستحقاق.

إن بناتنا وأبناءنا، وهم فلذات أكبادنا ومحطة كل آمالنا، قادرون على أن يمنحوا بلادنا، وفي القريب العاجل، كل مجد هي أهل له إن وجدوا من يدلهم على الطريق الصحيح.ومن الواجب على دولتنا، حفظها اللّه وحماها، ومن الواجب علينا أن نكون لهم بكل قوانا،وأن لا نهملهم، وأن لا نتركهم للجهلة والمتعيلمين يعبثون بهم وبمستقبلهم ومستقبل البلاد معهم.

لقد اهتم بهم الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889 – 1940م) طوال حياته وخاطبهم وهو من أعظم من تعاطفوا في عصرنا مع تعاليم القرآن الكريم، منطوقها ومفهومها، ومن أولئك القرآنيين الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والذين هم قلب الإنسانية، وعقلها وبصيرتها، بقصيدته المشهورة «شعب الجزائر مسلم»، فعرفهم بهويتهم الأبدية، وأخبرهم بأنهم في كل عصر أمل الأمة ورجاؤها. وطلب منهم أن لا يخوضوا في أمر، إلا بعد أن يأخذوا له سلامه وطلب منهم أن يرفعوا للعدل والإحسان منار هما، لأنه لا شئ يمكن أن يقوم على الظلم والجور.

إن تاريخ الجزائر بالحق هو تاريخ علمائها، منذ القديس أوغستين (354 – 430 م)

ومعاصريه إلى الأمير عبد القادر والإمام عبد الحميد بن باديس ومن ساروا من بعدهم على خطاهم.

ومن الواجب على شبابنا أن يعرفوهم وأن يعرفوا مآثرهم، وما تحمله إليهم من التوجيهات للتقدم والرقي والإبداع في كل زمان.

وعلينا أن نوفر لهم الشروط الضرورية لينجحوا، وأن لا نشغلهم بعمايات جهلنا، ولا بضلالات أهوائنا لأن زمانهم غير زماننا، ولأن عالمهم غير عالمنا، ولأنهم سيتقدرون، وبحول اللّه، على ما لا نقدر عليه نحن اليوم لأسباب ليس هذا محل تفصيلها.

هذا، وإنني لا أشك في أنهم هم الذين سيعيدون للجزائر مجدها التليد، دون سواهم لأنه سيكون لهم الباع الطويل في العلوم وفي بناء الحضارة الإنسانية، لا بما ينقلونه عن غيرهم، ولكن بما تجلوه لهم أبحاثهم الرائدة، وتجود به عليهم منابع قلوبهم الطاهرة وفتوحات عقولهم النيرة وعوارف قرائحهم الخصبة.

هذا، وإنني لا أشك في أنهم هم الذين سيحيون تراث علمائنا باللغة العربية في ظل الإسلام، وتراث علمائنا باللاتينية قبل الإسلام، وتراث علمائنا باللغة الفرنسية في أيام الاحتلال السوداء ومن بعدها، لأنهم سيكونون، بحول اللّه، وفي المستقبل القريب، أصحاب الدراية الراسخة التي ستسمح لهم بأن يرسوا لبلادنا قواعد حضارتها بالحق، وبأن يرووا أن مراحل تاريخها كله هي حقيقتها، وأن يروا أنه يمكنها، إذا مزجت بيئتها بما يجعل منها وحدة تجلوها كثرتها وتعرب عنها، أو كثرة تنظمها وحدتها وتدعمها، أن تصير من بلدان المستقبل التي يعوّل عليها فوق هذه الأرض... وما ذلك على الله بعزيز، فهو نعم المولى ونعم النصير...

الشيخ الأستاذ الربيع ميمون

عالم في أصول الدين / دكتور دولة في الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الجزائر

المراجع

1 - Ernest Renan, Histoire générale et système comparé des langues sémétique , Livre IV, Chapitre 2, pp.444 -507,in uvre complétes, T.8, calmann - levy, paris, 1947.

2 - G.H. Bousquet , Les berbères, P.U.F.Paris ,pp. 43 - 44.

3 - Ibid

4 ـ الإشارة هنا هي إلى «إميل – فيليكس غوتيي» مؤلف كتاب:

Le passé de l'Afrique du Nord, Les Siécles Obscures , Payot, Paris, 1937.

وهي أيضا إلى أمثاله من المؤلفين.

5 ـ عبد الحميد بن باديس، «الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري»، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1985, ج 4, ص ص 114– 120 .

6 : – عبد الرحمن الجيلالي، «تاريخ الجزائر» ، ديوان المطبوعات الجزائرية، ج 1, ص 273, بدون تاريخ.

7 : – رابح بونار، «المغرب العربي. تاريخه وثقافته» ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981, ص ص 304 – 318.

8 : – نفس المرجع،ص ص 298 – 302 .

9 : – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 304 – 305.

10 : – نفس المرجع، ص ص 318 – 319 .

11 : – صالح بلعيد، «ألفية ابن مالك في الميزان» ، ديوان المطبوعات الجامعية 1995, ص ص 15 – 16 .

– ثم ابن مالك، الألفية، القاهرة، 1932, ص 2.

12 : – ابن مريم، «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» ، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1980, ص ص 214 – 229 .

– ثم ابن خلدون، «لباب المحصل» ، المقدمة.

13 : – ابن مريم، المرجع السابق، ص ص 164 – 184 .

– ثم الشريف الحسني، «مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول» ، منشورات المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر، بدون تاريخ.

– ثم الإمام الشاطبي، «الموافقات» ، مجلدان، دار المعرفة، بيروت، 1997.

– ثم الإمام الطاهر عاشور، «مقاصد الشريعة الغسلامية» ، بدون تاريخ، المقدمة، ص ص 3–8.

14: الأعشى ميمون، من معلقته:

«ودع هريره إن الركب مرتحل وهل تطبيق وداعا أيها الرجل»

15: الربيع ميمون، «الإمام السنوسي عالم تلمسان:، حولياتِ جامعة الجزائر، الجزائر، مارس 1993, ص ص 24-37.

- ثم الربيع ميمون، «طريقة الحكماء المحدثين في علم الكلام عند الإمام السنوسي» حوليات جامعة الجزائر، مارس 1996 ص ص 40 ، 56 .

- ثم

Louis Gardet et M.M.Amawati," Introduction à la Théologie Musulmane Vrin, Paris, 1948,pp.169-171 et pp.381-384.-

16 - محمد الحجوري، «الفكر السامي» ، فاس، بدون تاريخ، ص ص 78-79.

- ثم محمد عزيز جعيط، الطريقة المرضية ، تونس ، 1360 هـ ، ص 35 .

17: - الربيع ميمون، «مكانة الإمام عبد العزيز الثميني في علم الكلام»، الأيام الدراسية حول الشيخ عبد العزيز الثميني، غرداية، 1999, ص ص 32.

18 - Lucien Leclerc, Traduction de Kachf Ar-roumouz (Révélation des Enigmes), Préface, Eds. Baillère et Leroux, Paris 187.

- ثم عبد الرزاق بن حمادوش، «كشف الرموز» ، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1996.

19 - Rabia Mimoune, L'homme dans la vie et l'uvre de l'Emir Abdelkader, Annales de l'Université d'Alger, 1989-1990,p.47.

20 - Lagarede et Michard, le XVI ème siècle, Collection " Textes et Littérature ", Bordas, Paris, 1961,pp.91-166.

21 - عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق.